

## الآية - 31 39 من سورة البقرة

من الآية 31 إلى 39 من سورة البقرة .

{ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين }

( وعلم آدم ) أي علم الله سبحانه آدم ، وهو نبيه ، أبو البشر عليه السلام .

(الأسماء كلها ) أسماء كل شيء .

( ثم عرضهم على الملائكة ) أي عرض الله أصحاب الأسماء على الملائكة.

( فقال ) الله سبحانه مكلماً للملائكة .

( أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ) أخبروني بأسماء من عرضتهم عليكم أيها الملائكة إن كنتم صادقين أن لديكم علماً بالأشياء .

{ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم }

( قالوا ) أي الملائكة إقراراً بالعجز .

( سبحانك ) التسبيح هو التنزيه ، أي ننزهك أن يحيط أحد بشيء من علمك إلا بما تشاء .

( إنك أنت العليم الحكيم ) العليم : على وزن فعيل ، من أبنية المبالغة ؛ ذو العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً لما كان وما يكون من أفعاله وأفعال خلقه .

والحكيم : ذو الحكمة البالغة . والحكمة وضع الشيء في موضعه اللائق به.

وللحكيم معنى آخر ، وهو ذو الحكم والسلطان التام .

{ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما نبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون } .

( قال ) الله تبارك وتعالى .

( يا آدم أنبئهم ) أي أخبر الملائكة .

( بأسمائهم ) يعني : بأسماء الذين عرضهم على الملائكة .

( فلما أنبأهم بأسمائهم ) فلما أخبر آدم الملائكة بأسماء الذين عرضهم الله على الملائكة .

( قال ) الله تبارك وتعالى .

( ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض ) قال الله تبارك وتعالى لملائكته معاتباً لهم : لقد أخبرتكم أني أعلم ما خفي عنكم في السموات والأرض .

( وأعلم ما تدون ) أي وأعلم - مع علمي غيب السموات والأرض - ما تظهرون بألسنتكم .

( وما تكتمون ) وما تخفونه في أنفسكم ، فلا يخفى عليّ شيء .

قال ابن كثير - رحمه الله : - " هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم ، وهذا كان بعد سجودهم له .

وإنما قدم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك ، فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ؛ ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم .

{ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين } .

( وإذ قلنا للملائكة ) أي قال الله تبارك وتعالى لملائكته ، والجمع للتعظيم .

( اسجدوا لآدم فسجدوا ) أمر الله تبارك وتعالى ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام فأطاعوا وسجدوا جميعاً إلا إبليس . فكانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ؛ أكرم الله آدم بها أن أسجد له الملائكة .

قال الطبري : " وكان سجود الملائكة لآدم تكريماً لآدم ، وطاعة لله ، لا عبادة لآدم " .

( إبليس ) هو أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس .

( أبى ) أي : امتنع .

( واستكبر ) أي تكبر عن السجود .

( وكان من الكافرين ) أي صار من الكافرين بسبب امتناعه واستكباره .

قال الإمام الطبري - رحمه الله - (1/544) ، (هاجر) : " وهذا وإن كان من الله تعالى ذكره خيراً عن إبليس ، فإنه تقرير لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله ، والانقياد لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه ، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق . وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله ، والتذلل لطاعته ، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم ؛ اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبارهم الذين كذبوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم وصفته عارفين ، وبأنه لله رسول عالمون . ثم استكبروا - مع علمهم بذلك - عن الإقرار بنبوته ، والإذعان لطاعته ،

بغيا منهم له وحسدا . ففرعهم الله بخبره عن إبليس الذي فعل في استكباره عن السجود لآدم ، حسدا له وبغيا ، نظير فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله صلى الله عليه وسلم ونبوته ، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم ، حسدا وبغيا "

{ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين }

(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ) يقال زوجك وزوجتك ، وهي حواء . صح تسميتها بذلك في حديث متفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لولا بني إسرائيل لم يخزن اللحم ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر " .

( الجنة ) جنة الخلد

( وكلا منها رغداً ) واسعاً كثيراً هنيئاً .

( حيث شئتما ) أي : في أي مكان من هذه الجنة ، وفي أي وقت .

( ولا تقربا هذه الشجرة ) أشار الله تبارك وتعالى إلى شجرة بعينها . والله أعلم بنوعها ولا يضرنا عدم العلم بها .

( فتكونا من الظالمين ) أي : إنكما إن قربتماها بالأكل منها كنتما من الظالمين ، أي : الضارين بأنفسكما بالمعصية ، وأصل الظلم : وضع الشيء في غير موضعه .

{ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين }

(**فأزلهما الشيطان** ) أي : أوقع الشيطان آدم وحواء في الزلل .

وفي قراءة { فأزالهما } : بمعنى ناهما ، أي : كان الشيطان سبباً في تنحيتهما .

( عنها ) أي : عن الجنة .

( فأخرجهما مما كانا فيه ) فأخرج الشيطان آدم وحواء من النعيم الذي كانا فيه .

أضاف الله الإخراج إلى الشيطان ؛ وإن كان هو المخرج لهما ؛ لأنه كان سبباً لخروجهما منها بوسوسته لهما .

قال الشنقيطي - رحمه الله - في " أضواء البيان " سورة طه : " وأعلم : أن في وسوسة الشيطان إلى آدم إشكالا معروفاً ، وهو أن يقال : إبليس قد أخرج من الجنة صاغراً مذموماً مدحوراً ، فكيف أمكنه الرجوع إلى الجنة حتى وسوس لآدم ؟

والمفسرون يذكرون في ذلك قصة الحية وأنه دخل فيها فأدخلته الجنة ، والملائكة الموكلون بها لا يشعرون بذلك ، وكل ذلك من الإسرائيليات . والواقع أنه لا إشكال في ذلك ، لإمكان أن يقف إبليس خارج الجنة قريباً من طرفها بحيث يسمع آدم كلامه وهو في الجنة ، وإمكان أن يدخله الله إياها لامتحان آدم وزوجه ، لا لكرامة إبليس . فلا محال عقلاً في شيء من ذلك . والقرآن قد جاء بأن إبليس كلف آدم ، وحلف له حتى غره وزوجه بذلك " .

( وقلنا ) أي قال الله تبارك وتعالى .

( اهبطوا ) الخطاب لآدم وحواء وإبليس .

( بعضكم لبعض عدو ) الشيطان عدو لآدم وحواء .

( ولكم في الأرض مستقر ) يعني تستقرون فيها . فالمستقر في كلام العرب هو موضع الاستقرار .

( ومتاع ) وتمتعون بها بما أعطاكم الله من النعم .

( إلى حين ) إلى زمن معين وهو قيام الساعة ، وليس على الدوام .

{ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم }

( فتلقى آدم من ربه كلمات ) تلقى : أخذ وقبل ؛ أي : فألقى الله لآدم كلمات توبة ، فتلقاها آدم من ربه وأخذها عنه تائباً .

( فتاب ) الله ( عليه ) على آدم بقوله لها وقبوله إياها من ربه ، أي رفع الله عنه المؤاخذة وعفا عنه .

والكلمات هي قوله تعالى : { ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين } .

( إنه هو التواب ) صيغة مبالغة ؛ أي كثير التوبة على عباده ، وتوبته على عباده تكون بتوفيقهم للتوبة وقبولها منهم .

( الرحيم ) ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين .

تعريف التوبة : التوبة لغة ؛ هي الرجوع ، وشرعاً ؛ هي الرجوع من معصية الله إلى طاعته .

حكمها : واجبة على الفور ؛ لقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً } ، ولغير ذلك من الأدلة .

شروطها :

1. الإقلاع عن الذنب .

2. الندم على ما حصل .

3. العزم على أن لا يعود إلى الذنب .

4. أن تكون في وقت قبول التوبة وهو قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها .

5. رد المظالم إلى أهلها .

{ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } .

( قلنا اهبطوا منها جميعاً ) أي : آدم وحواء وإبليس كما تقدم ، وذريتهم .

(فأما ) أي : فإن يأتيكم .

( مني هدى ) الوحي الذي يوحيه الله إلى أنبيائه رسوله .

( فمن تبع هداي ) أي : من أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل .

( فلا خوف عليهم ) فيما سيلقونه في الآخرة ، فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله غير خائفين عذابه ؛ بما أطاعوا الله في الدنيا .

( ولا هم يحزنون ) على ما فاتهم من أمور الدنيا .

{ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون }

( والذين كفروا ) جحدوا آياتي ، وكذبوا رسلي .

( بآياتنا ) وهي حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته ، وما جاءت به الرسل.

( أولئك أصحاب النار ) أي : أهلها .

( هم فيها خالدون ) أي : مخلدون لا يخرجون منها أبداً .

□